عواصم العباسيين وتغيرها وأثره فى رسوم دار الخلافة العباسية (١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٧م)

دكتـور: طائـف كمـال الأزهرى
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى - قسم التاريخ
كلية الآداب جامعة حلوان

عواصم العباسيين وتغيرها وأثره فى رسوم دار الخلافة العباسية (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م) (*)

أن دراسة التاريخ الاجتماعي ونظمه فى العصور الإسلامية الأولي تواجه الكثير من الصعوبات، لندرة المادة من ناحية، وضياع كثير من المصادر المعاصرة من ناحية أخرى. ومنذ أن كتب أ.د. عبد المنعم ماجد كتابيه نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر (القاهرة ١٩٥٥) ونظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر (القاهرة ١٩٦٤) بالإضافة إلى دراسة أ.د. أحمد شلبي فى قصور الخلفاء العباسيين (القاهرة ١٩٥٤) نجد أن رسوم دار الخلافة العباسية لم تلق نفس الاهتمام رغم امتدادها الزمني الطويل وتعرضها لعناصر عربية وفارسية وتركمانية شتي غيرت منها على مر الزمن.

وإذا أضفنا ما قاله هـ. كندي فى كتابه (THE COURT OF THE CALIPHS, LONDON 2004) وهو أحد الرواد فى الدراسات العباسية فى العقدين الأخيرين، عند احتياجنا لفهم آلية حدوث الأشياء، نجد أن هذه الدراسة التى تحاول فهم تأثر نظم دار الخلافة فى العصر العباسي الأول بتغيير العواصم العباسية التى زادت على الخمسة عواصم. وجدير بالذكر هنا قولبة التاريخ العباسي فى عصر ذهبي وغير ذهبي فى التاريخ السياسي أمر مردود عليه.

فيكفي أن نرجع إلى الطبري لنري كيف أن الخليفة هارون الرشيد كان مجرداً حتى من خاتمه مع البرامكه، أو أن الوزير الفارسي ابن سهل كان شديد التحكم فى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، إلى أخره من أمثلة على ضعف الخلفاء حتى فى العصر الذى نأخذه كضميمة تاريخية بأنه عصر نفوذ الخلفاء الأقوياء.

وتجدر الإشارة هنا إلى تعرض جميع هذه العواصم السابقة الذكر إلى

(*) دكتور : طائف كمال الأزهري- أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي- قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حلوان

وتجدر الإشارة هنا إلى تعرض جميع هذه العواصم السابقة الذكر إلى التخريب والدمار على مدار القرون الإسلامية، بداية من حرب الأمين والمأمون ٨١٠/٨١٣م، إلى الغزو البويهي ٩٤٥م، إلى تمرد البساسيري، إلى دخول السلاجقة بغداد، إلى اقتحام المغول ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وهذا ما يضيف الكثير من العبء على هذه الدراسة.

(لقد أتخذ الخلفاء والملوك منذ القدم ، المدن والعواصم. و بناء البلدان وتفخيم البنيان وتشييد الحصون المنيعة والقصور الرفيعة من رسوم الملوك [١]).

ومن رسوم بناء المدن ، التوسط في الإنفاق ، وعدم السرف ، وأن يوسع في البناء مع إحكامه ورفع مبانية ، وأن يعمل علي التخليد والتأييد لا علي التنسيق والتزويف ، ومن العادات الحسنة في البناء ، عقد القناطر وإصلاح الطرق وبناء الرباطات ورفع المساجد وعمارة الضياع وتحسين القلاع)[٢] .

اختلفت أحوال الخلفاء فى اتخاذ العواصم ، بين اختيار مدينة قائمة واتخاذها عاصمة ، كما كان حال الخلفاء الأمويين في اتخاذ دمشق عاصمة لدولتهم ، وكذلك أبى العباس (٧٤٩-٧٥٤م) أول خليفة عباسي عندما اتخذ الكوفة ثم الأنبار في بداية خلافته عاصمة للدولة .

والوضع الثاني فى اتخاذ العواصم : هو تشييد مدينة جديدة وإقامة عاصمة للدولة فيها، مثل بناء بغداد فى عهد الخليفة العباسي المنصور .

ولم يستقر الخلفاء العباسيون علي اتخاذ عاصمة ثابتة فى بداية قيام الدولة ، بل إن لديهم قلق دفعهم الى التنقل المستمر لأنهم كانوا يبحثون عن موقع يسد حاجات خاصة معينة لديهم [٣] .

ولم يستطع الخليفة أبو العباس أن يتخذ قرارا قطعياً حول موقع العاصمة ، وكان قراره غير ثابت على منطقة معينة لاعتبارات سياسية واجتماعية [٤] فالدولة العباسية وما زالت فتية في أوائل أيامها وما زال عودها طرياً .

كما أن العلويين وأنصارهم ما زالوا يطمعون في أن تكون الخلافة في الفرع العلوى . لذلك كان يوجد ما لا يقل عن أربع عواصم عربية هي عواصم السفاح في قصر أبن هبيرة (٥) والموضع الذى يقابله ، والأنبار (٦) أنتقل إليها بعد إعلان خلافته في مدينة الكوفة (٧)

والحقيقة أن العباسية كانوا قد مالوا الي الجانب الشرقي منذ أن أستقر السفاح على الفرات الأوسط ، وربما كان السبب الحقيقي هو الرغبة في الابتعاد عن جهة غلب عليها الأمويين ، وكذلك للاقتراب من مركز الثورة العباسية خراسان والتى كانت المصدر البشري لجنود الدولة العباسية(٨)

وكانت جميع العواصم التى شيدها العباسيون واتخذوها عواصم لهم لم تتعدد حدود العراق – ماعدا مرو فى إقليم خراسان – فقد كان العراق مناسب للعباسيين ، لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، فهو موطن القبائل العربية التي هاجرت إلي خراسان ، وناصرت الدعوة العباسية ، كما أن العراق مقر إمبراطوريات قديمة قبل الإسلام ، وهذا يؤهله أن يكون مركزاً لدولة جديدة . كذلك فإن العراق يقع على طريق تجاري بين الشرق والغرب (٩) .

وسنحاول فى هذا البحث تحليل تطور عمران العواصم العباسية وارتباطه وأثره على رسوم قصر الخلافة العباسية.

الهاشمية والأنبار:

كان الخليفة أبو العباسي السفاح مقيماً بالكوفة وبعد مبايعته بالخلافة ويبدو أنه أدرك خطورة وضعها بسبب عدم تأييد غالبية سكانها للدولة العباسية . وكانوا من الشيعة (١٠) ، لذا انتقل إلى مكان قريب منها وهو قصر أبن هبيرة قرب الحيرة(١١) .

وأكمل بناءه وزاد فيه وسماه الهاشمية ، ولوجود مدينة الكوفة (١٢).

ولكن الناس ظلوا يسمونها باسم مؤسسها الأول قصر أبن هبيرة على عادتهم السابقة ، فقال أبو العباس : ما أرى ذكر أبن هبيرة يسقط عنها(١٣)

لذا قرر ترك الكوفة وما يجاورها بعد أن مكث فيها سنتين واتجه إلي الأنبار غرب موقع بغداد علي نهر الفرات " فاستطابها ، فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه،وقسمها خططا بين أصحابه من أهل خراسان ، وبنى لنفسه فى وسطها قصراً عالياً منيفاً ، فسكنه ، وأقام بتلك المدينة طول خلافته ، وتسمى .. مدينة أبى العباس [١٤] وسميت هذه المدينة أيضا الهاشمية.

ولعل تمسكهم بهذه التسمية يعود الى رغبتهم فى تأييد الانتماء إلى هاشم بن عبد مناف جد النبى صلى الله عليه وسلم وجد على والعباس ، حتى يعطى خلافتهم الصفة الشرعية [١٥] .

ويغلب علي المصادر الإسلامية تسمية عاصمة أبو العباس بالأنبار ، بناءاً على أسم المدينة السابقة ، فذكرت : أنه أنتقل إلى الأنبار وصيرها دار الخلافة [١٦].

ولكنه أنشأ مدينة جديدة فى أعلى الأنبار خاصة به وبنى بها قصراً ، وقسمها إقطاعات بين أهله وقواده ورجاله [١٧] .

واستقر أبو العباس فى عاصمته حتى توفى عام ١٣٦هـ/ ٧٥٤م على عكس ما يعتقد كيندي فى كتابه.

وينبغي ألا ينظر إلى تلك العواصم علي أنها محاولات جادة لإقامة عواصم جديدة ، وإنما هي تدابير مؤقتة لإقامة معسكر للجيش القادم من خراسان ، للاحتفاظ ببعض القوات في العراق في هذه الفترة المبكرة لدعم حكومتها الجديدة [١٨].

ومن الصعوبة الحكم علي رسوم والخلافة في عهد أبى العباسى . ومدى تأثير تغير العواصم عليها ، ونظراً لأنه لم يستقر فى عاصمة واحدة ، فقد كانت مدة خلافته أربع سنوات (١٣٢- ١٣٦هـ / ٧٥٠- ٧٥٤م) .

قضى منها سنتين متنقلاً بين الكوفة ، وقصر أبن هبيرة وهاشمية الكوفة ، وسنتين فى هاشمية الأنبار [١٩] .

ولم يجد الباحث فى المصادر التى بين يديه ، وصف قصور أبو العباس فى هذه العواصم .

وعلى الرغم من أن منصب الوزير لم تتضح معالجة ومهامه فى عهد أبى العباس ، إلا أن أبى سلمة الخلال الذى يعد وزير أبى العباس كان له دور سياسى كبير في الكوفة ، حيث أستقبل الأسرة العباسية وأخفى نبأ وجودهم أربعين يوماً ، في محاولة منه لنقل الخلافة الى فرع العلوى ، إلا أن جهوده لم توفق بسبب وجود القادة المخلصين من خراسان والذين حسموا الموقف وبايعوا أبى العباس كأول خليفة عباسي في مدينة الكوفة ، لهذا لم يستطع أبو العباس المكوث طويلاً في هذه المدينة حفاظاً علي منصب الخلافة الذي كاد أن يضعف بسبب قوة منصب الوزارة.

وعندما أنتقل أبو العباسي إلى المكان الذى يعرف بصر أبن هبيرة ، وبعد أن بني فيه مدينة ، لم يلبث طويلاً ، فتحول منه إلى مكان أخر والسبب يعود إلى أن الناس ظلوا يسمون المدينة باسم بانيها الأول (يزيد بن عمر بن هبيرة) ، فليس من مصلحة الخليفة الجديد أن يتذكر الناس والى ، وهذا الأمر يتضح في ضوئه أن الخليفة العباسى رغب في تخليد ذكره من خلال إنشاء مدينة أو قصر ينسب إليه وليس لأبن هبيرة ، فشيد مدينة وسماها الهاشمية ، وهذا تأكيد على حرص العباسيين في بداية العصر العباسي علي تخليد البيت الهاشمي ، وتأكيد حب هذا البيت والولاء له من خلال تسمية الهاشمية علي المراكز والمدن التى شيدت في فجر الدولة العباسية[٢٠] .

وقد اتخذ المنصور هاشمية الكوفة عاصمة له في بداية خلافته ، حيث استتم بنائها وزاد عليه ، إلا أنه لم يستقر فيها طويلاً ، فقط كرمها بعد ثورة الراوندية عليه والتي تسمي وقعة الهاشمية [٢١] .

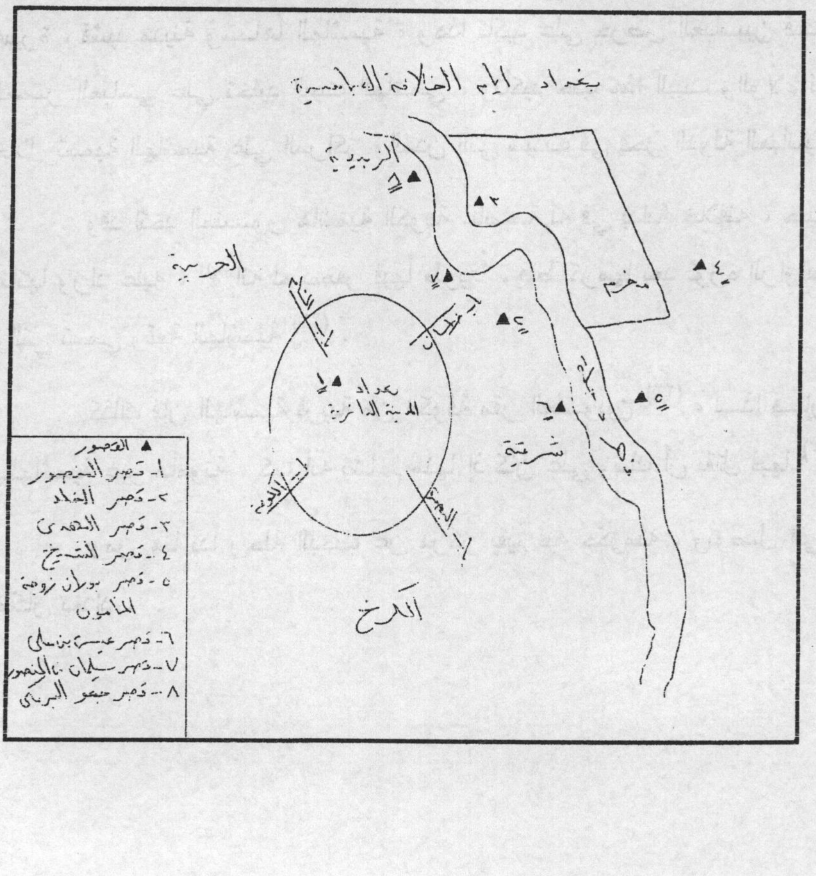
كذلك فإن الهاشمية قريبة من الكوفة مقر العلويين [٢٢] ، لذا فإن إقامته بالهاشمية غير مأمونة ، كما أنه تشاءم منها إذ كان علي وشك أن يقتل فيها [٢٣] .

ومن هنا بدأ رحلة البحث عن مركز يقيم فيه حكومته ، وتوصل الي اختيار مكان بغداد .

بغداد :

لقد ركز المؤرخون علي أهمية بناء المنصور مدينة بغداد (٢٤) كعاصمة نهائية للخلافة العباسية . باستثناء نصف قرن في سامراء . وقد عده بعض الكتاب الغربيين من أهم الأحداث العظام في تاريخ العالم الإسلامي (٢٥) .

بعد أن قضي المنصور علي أبي مسلم الخراساني الذي كان يخشى من طغيان سلطته وتعاظم شأنه ، وفرق شمل خصومه ومنافسيه العلويين ، وأطمأن باله من ناحيتهم بعد أن هزمهم وكسر شوكتهم ، ونجا من ثورة الراوندية بعد أن تعرضت حياته للخطر الشديد ، أخذ المنصور يفكر في إنشاء حاضرة تكون قاعدة لدولته ومستقراً لأسرته ، يأمن فيها شر الثورات المفاجئة ، والانقلابات غير المنتظرة ، وتخلوا من العيوب التي وقعت في الحدث التي عاش بها والحواضر التي زارها خلال أسفاره العديدة وتنقلاته في أنحاء الدولة الإسلامية قبل وبعد تولية الخلافة (٢٦) .



الموقع ومميزاته :

سار المنصور بنفسه يرتاد الأماكن ، كما بعث رجالاً ، للبحث عن موضع مناسب يسكنه ويبتني فيه مدينته [٢٧] ، فانحدر إلى جرجرايا[٢٨] ، ثم سار إلى الموصل شمالاً حتي بلغ الجزيرة ثم عاد إلى موضع بغداد ، وقد وصف له بطيب هوائه ، وهو مكان يقع فوق مصب نهر عيسى في دجلة [٢٩].

فأعجب به وقال :" هذا موضع صالح ، وهذه دجله ليس بيننا وبين الصين *، يأتينا فيها كل ما في البحر ، وتأتينا المسيرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك ، وهذه الفرات يجيء فيها كل شيء بالشام والرقة " [٣٠].

وتبين لنا مقولة المنصور معظم مميزات موقع بغداد ، فقد كان في ذهن المنصور اختيار مكان يتميز بطيب هواؤه ، ومحصن ضد الغارات ، يسهل الاتصال بينه وبين أكثر نواصي الدولة الإسلامية ، وتحقق ذلك كله في بغداد.

فهي تقع علي نهر دجلة ، وعليه تفد السفن المحملة بالمسيرة والطوائف من الهند والسند والبصرة والأهواز ، وواسط والموصل وديار بكر وربيعة ، وموقع بغداد أقرب نقطة بين دجلة والفرات ، وهذا يسهل الاتصال مع البلاد الواقعة على الفرات والقريبة منه ، وهذا المكان تجري فيه الأنهار ، وبذلك لا يستطيع أن يصل إليه العدو إلا علي جسر أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسور وأزيلت القناطر تعذر الوصول إليه ، كذلك هذا المكان وسط بين بلاد العرب والعجم [٣١].

وعندما بات المنصور في موضع بغداد ، للتأكد من مناسبة المكان ، وجد الرياح تهب ليلاً ونهاراً من غير غبار ، ورأى أن هواءها أطيب هواء [٣٢]. وبهذا يكون موضع العاصمة تتوافر فيه العوامل الصحية *.

وقد بشر أحد المنجمين [٣٣] المنصور : بطول زمان هذه المدينة وكثرة عمارتها وانصباب الدلتا إليها وفقر الناس إلي ما فيها ، وأنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً [٣٤].

ومن أبرز خصائص المكان الذي أقيمت عليه بغداد – إضافة الى ما سبق – سهولة تربة المنطقة ، وخصوبتها واستواء أرضها مع ميل خفيف يسر المجرى لعدد من الأنهار والترع التي تأخذ مياهها من الفرات وتنحدر نحو الجنوب الشرقي فتسقي مزارعها . ثم تصب في دجلة ما يبقي فيها من المياه ، وبذلك يكون دجلة مصرفا لمياهها الزائدة ، فلا تتبطح في الأرض فتتكون الأملاح والأسياخ ، وهذه العوامل جعلت المنطقة التي تقع فيها بغداد من أخصب أراضي العراق وأكثفها زراعة وأغناها مورداً ، فكثر فيها السكان ونمت مراكز التمدن والتحضر ، واتسع أفق أهلها بما يلائم أفكار مقر عاصمة الدولة المترامية الأطراف[٣٥].

تصميم المدينة ومميزاته :

إن انتقال عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق الأموية إلى بغداد العباسية ، أدي الى تغير المفاهيم الفنية وطراز العمارة المحلية ، حيث كانت العاصمة الأولى قريبة من الدولة البيزنطية وتأثرت بها كثيراً في فنون العمارة والفنون التطبيقية ، أما العاصمة الجديدة بغداد ، فهي بحكم الموقع قريبة من الفرس الذين ساعدوا في قيام الدولة لذا كان الطراز الفارسي مؤثراً فيها [٣٦].

ويعد تخطيط مدينة بغداد من أروع ما وصل إليه فن تخطيط المدن في العالم الإسلامي ، ويعتبر تصميمها وطرازها من الطراز الجديدة علي العمارة الإسلامية[٣٧].

وهذا التصميم أتخذه أبو جعفر المنصور واختاره بنفسه [٣٨] ، وهو الشكل المدور لتخطيط المدنية ، فاستدعى المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والمساحة ، فمثل لهم الصفة التي يريدها ، ويذكر أنه لم يعرف في أقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها[٣٩].

وقد أصبح الشكل المدور لمدينة بغداد ، يميزها عن سائر المدن ويعد مخطط بغداد الذي نفذه المنصور ، مخططاً مبتكراً ، حيث جعل المدينة مستديرة ويحيط بها أسوار مزدوجة تؤلف حلقتين متتابعتين ، ويبدوا أنه قد تأثر ببناء بعض المدن الفارسية مثل همذان.

وتألف بناء بغداد من ثلاثة عناصر معمارية هي : التحصينات والأسوار الخارجية ، ثم المنطقة السكنية الداخلية ، وفي وسط المدينة دار الخلافة والجامع وقصور الأمراء ودواوين الدولة [٤٠] ثم مساكن الناس .

ويمكن تحديد الأثر الفارسي في هذا التخطيط ، في فصل الخليفة عن عامة الناس واتخاذ مقام متوسط له بين مساكن الناس، وحصر بيوت السكان في أحياء منفصلة يمكن إغلاقها ليلاً وحراستها بصورة دقيقة ، وهذا يشير الى السلطة المطلقة المتأثرة بالنظام السياسي للفرس [٤١] ولما عزم المنصور علي بنائها أحب أن ينظر إليها عياناً .

فأمر أن يرسم تخطيط المدينة بالرماء ، ثم دخل من كل باب وكان يمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماء ، ثم أمر علي تلك الخطوط كرات القطن المبلولة بالنفط ، وأشعلت فيها النار ، ففهمها وعرف رسمها ، ثم أمر أن يحفز الأساس علي ذلك الرسم [٤٢].

وقد أمر المنصور بجمع الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط البصرة ، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة ، وكان من أشهرهم : الحجاج بن أرطاة وهشام بن عمرو التغلبي ، وعمارة بن حمزة ، وشهاب بن كثير المهندس ، وعبد الله بن محرز المهندس ، وغيرهم ، وكلف الأمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بعد اللبن والآجر [٤٣] .

وبدأ الإنشاء بأمر من المنصور ، وجعل عرض أساس السور من الأسفل خمسين ذراعاً ، ومن الأعلى عشرين ، واستخدم في البناء القصب والخشب ، وقد وضع المنصور بيده أو لبنة وقال "بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين،" ثم قال : "أبنوا علي بركة الله" [٤٤].

ومن أبرز ما يميز مدينة بغداد تحصينها القوي ، والمتآلف من سورين وخندق [٤٥]، لذا تعد بغداد أول مثال في العمارة الإسلامية يراعي فيها التحصينات من حيث إنشاء الأسوار العالية والخنادق [٤٦].

ولزيادة الوسائل الدفاعية ، أمر المنصور بحفر خندق عميق حول السور الخارجي للمدينة وأجريت فيه المياه من قناة كراخيا ، وكان عمق هذا الخندق ستة أمتار وعرضه عشرة أمتار (٧٤).

وتقع بالسور الخارجي مداخل المدينة وأبوابها الأربعة هي :

الأول : باب الكوفة في الجنوب الغربي ، والثاني : باب البصرة في الجنوب الشرقي ، والثالث : باب خراسان في الشمال الشرقي ويسمي باب الدولة ، وهذا يوضح الدور الذي لعبته خراسان في قيام الدولة العباسية ، والباب الرابع : هو باب الشام في الشمال الغربي (٤٨)

وكان علي كل باب منها باباً حديدياً عظيماً ، لا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتح إلا بواسطة جماعة من الرجال ، ويدخل الفارس بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل العلم ولا يثني الروح (٤٩).

وبني مجلس للخليفة فوق كل باب ، وعليه قبة عظيمة مذهبة يصعد إليها علي الخيل ، وكان يجلس في أحد هذه المجالس إذا أحب أن ينظر إلي المناطق الواقعة خلف الأبواب (٥٠) .

استهدف المنصور من بناء المدينة المدورة أن يتخذها مقراً له ولدواوينه وحرسه ، ولم يشيد في الرحبة (الساحة) قرب قصره غير أبنيه بسيطة لصاحب الشرطة والدواوين ، اما الحرس فأسكنهم علي طرفي السكك وعند الطاقات ، ولم يسمح لأحد من أفراد أسرته أو رجال حاشيته أن يبتوا فيها ، لذلك كانت المدينة كالثكنة العسكرية المحصنة يطغى عليها طابع الجد والصرامة ، وتتسم بالفخامة والدقة والإتقان في البناء . إن هذا الطابع الجدي الرسمي كان مظهراً بارزاً في مدينة بغداد ، خاصة وأنها كانت صغيرة الحجم لا يتجاوز قطرها كيلو متراً (٥١)، وكانت محصورة بالأسوار الضخمة والخندق الذي تجري فيه المياه ، لذا لم يقبل الناس علي السكني في داخلها – أول الأمر – حتى أن الخلفاء العباسيون أقاموا في قصور بنوها خارجها وتحديداً في الجانب الشرقي للمدينة (٥٢). خاصة بعد بناء قصر الرصافة لولي عهد

المنصور محمد المهدي علي الجانب الشرقي لدجلة ، وقد تعدد الأسباب وراء هذا الاتجاه في التوسع العمراني شرقاً لمدينة بغداد (٥٣) .

ولا ريب في أن انتقال مقر الخلافة من بغداد إلي سامراء في خلافة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ / ٨٣٣- ٨٤١م) كان له أكبر الأثر علي مكانة بغداد ، حيث تنازلت بغداد عن مركزها – مرغمة – باعتبارها حاضرة الدولة ، إذ لم تعد مقراً للخليفة والدواوين لمدة تزيد علي نصف قرن من عام ٢١٨هـ /٨٣٣م إلي عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٨م ، فلما عاد الخلفاء العباسيون إلي بغداد ، أقاموا في دار الخلافة بالجانب الشرقي ، كما أن أفراد الأسرة العباسية كان معظمهم يسكن خارج بغداد ، وقد زاد هذا من إهمال المدينة المدورة (٥٤)، ولكننا نعتقد بأن القيمة الاقتصادية والتجارية للمدينة استمرت فى ذلك العهد دون تغير، وفي مناسبات عديدة كان الخليفة يترك العاصمة ويقيم قرب مركز الثورات والمناطق المضطربة ، فتخلوا العاصمة من وجود الخليفة لفترات زمنية ، وربما يعين ولي عهده نائباً عنه لإقامة في العاصمة مدة مكون الخليفة قرب مصدر الثورات (٥٥).

وقد ضمن بغداد عدداً من القصور ، منها ما شيد مع بناء المدينة في خلافة المنصور ،وفيها ما شيد في وقت متأخر .

قصور الخلافة في بغداد :

تميزت بغداد بفخامة قصورها التي انتصبت وسط حدائقها الغناء وبساتينها ، وعرف عنها الجمال والروعة.

وهناك العديد من القصور الخلافية التي شيدها الخلفاء العباسيون منذ عهد المنصور وحتى نهاية العصر العباسي .

ومن أشهر قصور الخلافة في بغداد ، وقصر زبيدة ، وقصر السلام وقصر الرصافة، وقصر الأبيض، وطبقا لإحصائنا فى المصارد، فإنها زادت على أربع وعشرين قصراً وهو أمر مهم من ناحية العمران(٥٦).

وقد اتخذت قصور بغداد نظام البناء كان سائداً في قصور الفرس ، فكان معظمها مبني بالأجر ومغطاة بالكلس ، وتنقسم عادة الي مجالس الضيافة ، ومقاصير الحرم ، وحجرات الخدم ، ويحيط بها الحدائق التي تزرع فيها الفاكهة والرياحين ، وتحلي جدرانها وسقوفها بالزخارف المتمثلة بالرسوم الجدارية الملونة والفسيفساء المذهبة والزخارف المحفورة بالأجر ، كما تميزت بالقباب المرفوعة علي عمد دقيقة تظهر للعين كأنها معلقة في الفضاء (٥٧) .

ولم يكن الخفاء العباسيين يستقرون في قصر واحد طوال مدد حكمهم ، إنما كانوا يغيرون أماكن إقامتهم في قصور خلافية أخري ، أما للنزهة أو لحاجة أخري مثل النواحي الأمنية.

وكان يسمي القصر الذي يقيم فيه الخليفة : قصر الإمارة أو دار الخلافة ، أو ينسب الي اسم الخليفة مثال : قصر أبو جعفر ، وتسمي أيضاً القصور الخلافية (٥٨) .

ومن أشهر قصور بغداد ، قصر الذهب والذي بناه أبو جعفر المنصور مع جامع بغداد، وكان يقع في وسط المدينة ، وسمي بقصر الذهب لأنه كان بابه مذهب أو مكسو بالذهب ، كما سمي بقصر القبة الخضراء ، لأنه كانت تعلوه قبة خضراء عظيمة اعتبرت احدي معالم بغداد ، ومأثرة من مآثر بني العباس العظيمة (٥٩).

وكانت مساحة قصر الذهب أربع مئة ذراع في أربع مئة ذراع ، وكان في صدره إيوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً ، وفي صدر الإيوان مجلس مساحته عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وسمكه عشرون ذراعاً ، وسقفه عبارة عن قبة وعليه مجلس أخر فوقه القبة الخضراء (٦٠) ، وعلي راس القبة تمثال عبارة عن فرس عليه فارس في يده رمح (٦١). ويبلغ ارتفاع القصر ثمانين ذراعاً وقد بني بالخص والأجر ، ورفعت حجراته علي أساطين الساج ، وسقف بالخشب وحلي باللازورد (٦٢).

ولا يوجد حول القصر بناء ولا دار مسكن لأحد ، إلا دار في الجهة الغربية ناحية باب الشام لحرس الخليفة ، وسقيفة كبيرة ممتدة علي عمد مبنية بالأجر والخص

يجلس في احدها صاحب الشرطة ، والأخرى صاحب الحرس ، كما توجد منازل أولاد المنصور من الأمراء الصغار وخدمة المقربين وعبيده ، وبيت المال ، وخزانة السلاح وديوان الرسائل والخراج والخاتم وباقي دواوين الدولة ، ومطبخ العامة (٦٣) .

ويحيط قصر الذهب سور فيه أبواب مبنية علي شكل زاوية منحرفة بالنسبة إلي أبواب السور الخارجي لمدينة بغداد ، فإذا دخل الداخل من باب خراسان في السور الخارجي عطف علي يساره في دهليز أزج معقود بالأجر والخص ، عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً ، ويخرج الي رحبة تمتد إلي الباب الثاني طولها ستون ذراعاً ، وعرضها أربعون ذراعاً ، ولها في جنبتها حائطان من الباب الأول الي الباب الثاني ، في وسط هذه الرحبة الباب الثاني وهو الباب المدينة (٦٤) أقام المنصور في هذا القصر يدير شئون الدولة ، إلا أنه بعد تزايد عدد السكان حول القصر قد دفع المنصور إلي الاتجاه نحو شرق بغداد ، حيث بني قصراً أخر أتخذه دار الخلافة .

إن رسوم دار الخلافة بدأت في الظهور منذ عهد المنصور ، علي اعتبار أن القصر هو المقر الرسمي للخليفة وكانت هذه الرسوم تتصف بالجدية في عهده ، وما لبثت حياة القصر ورسوم دار الخلافة أن اتخذت مظهراً ثابتاً في ع هد المهدي ، لأن الدولة العباسية استقرت في عهده ، فهو أول من شجع حياة الأبهة والترف ، كما أن رجال الدولة وأصحاب المناصب العليا قد تجاوبوا معه ، وكان المهدي ينتقل بين قصر الذهب في وسط بغداد ، وبين قصر الخلد الذي يقع علي الشاطئ الغربي لنهر دجلة(٦٥).

ثم سكن خلفاء المهدي قصر الذهب ، وكان ولي العهد أحياناً يقيم في قصر الخلد ، وإذا بويع له بالخلافة تحول الي قصر الذهب (٦٦)، ونري هنا تأثر العباسية بالتاليد الساسانية التى كانت موجودة قبل الإسلام كما يشير كيندي.

واستمر قصر الذهب مقراً للخلفاء الي عهد الأمين (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م)، ثم تدهورت حالة القصر وتوقف استخدامه كمقر للخفاء (٦٧) .

ومن قصور بغداد المشهورة ، قصر الخلد (٦٨)، وقد بناه المنصور خارج

أسوار مدينة بغداد شرقاً علي الضفة الغربية لنهر دجلة (٦٩) ، ليكـون متنزهـاً لـه ، وليبتعد فيه عن ازدحام أهل بغداد حول قصر الذهب .

وقد أهتم المنصور ببناء هذا القصر ، وأوكل بناءه الي المهندسين ومن لهم خبرة بالبناء والعمارة ، وكان منهم أبان بن صدقة ، والربيع مولي المنصور وحاجبه ، وكذلك الأمام أبو حنيفة (٧٠) .

وذكر ابن الجوزي (٧١) أن المنصور بني هذا القصر لينظر إلي المـاء فإنـه يجلو البصر.

وعلي الرغم من أن المنصور لم يبني سوراً حول القصر لحمايته إلا أن موقع القصر بين بغداد غرباً والرصافة شرقاً والتي بناها لأبنه المهدي ، جعلت من هذا الموقع مصدر أمان له ، خاصة وأنه تخلص من ازدحام العامة حول قصر الذهب .

وكان يحيط بقصر الخلد الحدائق الواسعة المليئة بالإزهار التي تجري بينها الجداول والأنهار الصغيرة والقنوات ، كذلك فقط نشط الأمراء والمقربون من الخليفة في بناء قصورهم حول الخلد ، منهـا قـصر أم جعفـر زوج الرشـيد ، وقـصور البرامكة(٧٢) ، ولذا سميت المنطقة المحيطة بقصر الخلد باسمه (٧٣) .

وكان في هذا القصر قباب بديعة الشكل ، وبأبوابـه مـسامير مـن الـذهب والفضة، كما تخلله العمد الكثيرة الضخمة التي عنـي المنـصور بتزيينهـا الـصور والرسوم (٧٤).

وقد أضافت المهدي الي قصر الخلد بعض التعديلات ، حيث أقام عرشاً سماه: مجلس الأمير ، قامت فيه أعمدة الرخام المجزع ، ويحيط بها قضبان الذهب بزخرفته وتزيينه ، فقد فرشه بالبسط والديباج وهي منقوشة بأبيات من شعر يمدح فيه الخليفة ، وحول العرش وضعت مقاعد مرصعة باللؤلؤ لجلوس كبار رجـال الدولـة ، وكـان مجلس المهدي عرشه داخل قبة مفروشة بـأفخر أنـواع الحريـر المطعـم بخيـوط ذهبية(٧٥).

وممن أقام في قصر الخلد من الخلفاء ، الرشيد وابنه الأمين (٧٦).

وكان خلفاء المنصور قد ألقوا ببناء القصور في بغداد وعلي نهر دجلة (٧٧) وكان لمدينة بغداد وقصورها مكانة عظيمة في نفوس الخلفاء العباسيين ، ولم يكونوا يفار قوها إلا لظروف ومصالح سياسية أو عسكرية (٧٨).

إن بناء بغداد يمكن أن ينظر أنه محاولة لتوحيد أقاليم الدولة الإسلامية الواسعة شرقاً وغرباً ، توحيداً سياسياً وجغرافياً واجتماعياً تحت أجنحة الخلافة العباسية (٧٩)، برئاسة الخليفة العباسي الذي يري أن أقرب نسبة إلى الرسول محمد صلي الله عليه وسلم يعطيه الحق الشرعي في توحيد الدولة ، لذا تمتعت بغداد بمظاهر السلطة السياسية كحاضرة للخلافة ومقراً للخلفاء .

وكان للصراعات التي نشبت بعد وفاة الرشيد قد أوقعت الخراب في مدينة بغداد ، ثم أنه في عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م نقل المعتصم مقر الخلافة إلي سامراء قد زاد من خرابها وضعف مكانتها ، وعدت مدينة كسائر المدن (٨٠).

وعندما هجرت سامراء عام ٢٧٩هـ / ٨٩٢م وعاد مقر الخلافة الي بغداد ، وكانت بغداد - خاصة الجهة الشرقية منها - قد استجد فيها الكثير من القصور ، واتخذ الخلفاء الجانب الشرقي من بغداد مقراً لدار الخلافة، ويري كيشاني أن بغداد أثرت فى ذلك الوقت من ناحية الرسوم فى ذوق البلاط الإمبراطوري البيزنطي خاصة فى عهد ثيوفيلوس ٨٣٩/ ٨٤٢م، وهو ما سجله يوحنا النحوي الذى زار بغداد عام (٨٢٩م)(٨١).

الرصافة :

عندما بني المنصور مدينة بغداد ، أمر أبنه وولي عهد محمد المهدي أن يعسكر في الجانب الشرقي لمدينة بغداد شرق دجلة (٨٢) ، وأن يبني فيه قصر وجامع ودوراً لعسكره (٨٣). فالتحق الناس بهذا المعسكر وعمروا لهم دوراً ، فصارت مدينة تقترب من بغداد في حجمها وسميت الرصافة (٨٤) .

كذلك كانت تسمي عسكر المهدي ، لأن المهدي عسكر في هذا المكان حين خرج الى الري للغزو [٨٥]. ولم يتم بنائها إلا في خلافة المهدي [٨٦].

وإذا كان المنصور قد بني بغداد لتكون حاضرة الخلافة العباسية وعاصمة الدولة الإسلامية ، فإنه بني الرصافة للدفاع عن هذه العاصمة ولتكون مقراً لولي عهده[٨٧]. والدليل علي هذا أمره بإنزال العسكر فيها .

وقد أشار علي المنصور ثم بن العباس بن عبد الله بن العباس ، بعد أن شغب الجند عليه [٨٨] ، بنقل جزء من جيشه إلى الرصافة ليتمكن من تحقيق النصر علي الجزء الذي يفسد من جيشه فيأتيه من خارج منطقته ، فمثلاً إذ أثار جند الرصافة ضربهم بجند بغداد ، وإذ أثار جند بغداد ضربهم بجند الرصافة ، وبذلك لا تجتمع الجند ضد الخليفة [٨٩].

ويبدوا أن الخليفة أدرك أنه لن يكون أمناً كل الآمان علي نفسه بإقامته في بغداد [٩٠]، وهذا من أسباب بناء الرصافة .

وهكذا (اتخذت الرصافة في بداية أمرها ثكنات للجند وسميت رصافة بغداد ، أو بغداد الشرقية ، لوقوعها شرق بغداد ، واستتم بنائها عام ١٥٩هـ /٧٧٥م في خلافة المهدي[٩١] .

بنيت الرصافة مقابل قصر الخلد تماماً علي الجانب الشرقي من دجلة ، وكان بناؤها قد استغرق إتمامه ثمان سنوات ، وهذا دليل علي فخامة المدينة ، وكانت في تصميمها تشبه بغداد ، حيث كانت تحتوي علي ميدان واسع فيه قصر المهدي والمسجد الجامع ، وبستان ويحيط بالمدينة سور وخندق [٩٢] ، وقد أجري لها الماء من نهر المهدي ، وكان قصر المهدي واسعاً يتوسطه بهو عظيم [٩٣] ، وقد أقطع حولها قطائع لعدد من كبار رجال الأسرة العباسية ، وكبار القادة ، حيث بنوا فيها القصور ، وشقت الأنهار ، وعمرت فيها الأسواق وقد ربطت بجسر علي دجلة ييسر الوصول الي بغداد[٩٤].

تطورت الرصافة في عهد المهدي وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية والفكرية والعمرانية ، فأصبحت مدينة عامرة تضاهي بغداد في اتساعها وعمرانها وتكاد تكون مدينة مستقلة ، وقامت فيها الميادين الواسعة ، والمباني الفخمة ، وانتشرت فيها الحدائق والبساتين (٩٥) .

وقد امتد العمران بين بغداد الغربية والشرقية (الرصافة) ، واختفي الخندق المحيط بها، فصارت بغداد ممتدة علي جانبي نهر دجلة شرقاً وغرباً (٩٦).

ثم أصاب الرصافة في القرن الرابع الهجري إهمال وخراب ، ولكن قصرها ظل باقياً، وقد أصبحت هدفنا للخلفاء العباسيين وأسرتهم (٩٧).

وبالنسبة لاتخاذ الرصافة كمقر رسمي للخليفة ودار الخلافة ، فقد فضل المهدي الإقامة في الرصافة منذ ولي الخلافة ، علي السكن في بغداد (٩٨) .

وفي أواخر أيام خلافته كان يقضي معظم وقته في قصر السلام الذي أتخذه للهو في منطقة عيسي * وهي تقع في الجانب الشرقي من الرصافة ، كذلك أقام فيه الهادي مدة قصيرة(٩٩) .

كذلك فإن المأمون عندما عاد مرو إلي العراق ، أقام أولاً في الرصافة قبل أن ينتقل الي قصره الواقع علي شاطئ دجلة (١٠٠) . وقد قام باقي الخلفاء لفترات معينة في قصر المهدي في الرصافة (١٠١).

الرافقه والرقة :

إن مدينتي الرافقة والرقة ، من المدن التي اتخذها بعض الخلفاء العباسيون كعواصم ثانوية ، وأقاموا بها لفترات محدودة .

وبنيت مدينة الرافقة عام ١٥٥هـ /٧٧١ م بأمر من المنصور لأبنه المهدي ، وقد بنيت علي هيئة مدينة بغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها ، وبني سورين لها وخندق (١٠٢).

وتقع الرافقة علي ضفة نهر الفرات فوق مصب نهر * المخدر من الشمال ، وهي متصلة البناء بالرقة ، وبينهما ثلاثمائة ذراع [١٠٣].

وكان غرض المنصور من بناء هذه المدينة أن تكون معسكرا أماميا تجتمع فيه الجنود من أهل خراسان الموالين للدولة لحرب البيزنطيين [١٠٤].

وتعد الرافقة إحدى مدن الجزيرة الفراتية ، ونظراً لاتصال الرافقة بالرقة سميتا الرقتان [١٠٥].

والرقة تشبه في تصميمها مدينة بغداد ، ولكن تختلف عنها بأن الرقة لم تكن علي شكل دائرة كاملة ، وإنما كان ضلعها الجنوبي مستقيماً ، وباقي السور علي هيئة حدوة فرس ، مدببة من أعلاها ، وكانت مساحة المدينة وقت إنشائها ١٥٠٠متر من الشرق الي الغرب ونفس المساحة من الشمال الي الجنوب ، وعرض أسوار المدينة يسمح بمرور أكثر من فارس علي جواده علي ظهر السور [١٠٦].

وكان الخليفة هارون الرشيد ممن أقام بالرقة من الخلفاء ، حيث بني قصورها، وبني له قصراً سماه قصر السلام [١٠٧] ، لأنه كان يقيم في الرقة أو الرافقة كلما اشتد الحر في بغداد، وسرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت أبنية جديدة في الأرض الفضاء الواقعة بين الرافقة والرقة ، وغلب اسم الرقة علي الرافقة ، وبطل اسمها بمرور الأيام [١٠٨].

وقد أبني فيها الرشيد قصر واتخذه دار للخلافة ، واستخلف أبنه وولي عهده الأمين علي بغداد [١٠٩]، وكان الرشيد يفضل الإقامة في الرقة خاصة للتنزه في وقت الحر ، ولكن إقامته الرئيسية كان في الخلد في بغداد [١١٠].

وبذلك تكون الرقة قد أصبحت عاصمة مؤقتة للخلافة العباسية في خلافة الرشيد لفترات محدودة ، لذا يمكن اعتبارها من العواصم الثانوية .

مـرو :

جميع عواصم الخلفاء العباسين في العصر الأول كانت داخله ضمن نطاق إقليم العراق، ماعدا مرو ، والتي اتخذها الخليفة المأمون عاصمة له في المرحلة

الأولي من خلافته من عام ١٩٨هـ/٨١٣م وحتى عام ٢٠٤هـ/٨١٩م ، حيث عاد إلي بغداد عاصمة آبائه وأجداده ، بعد أن مكث قرابة خمس سنوات في مرو يحكم كخليفة .

ومدينة مرو ، قديمة وتعرف بمرو الشاهجان [١١٦] وهي عاصمة خراسان وأشهر مدنها [١١٧]، وأن كانت الآن واقعة ضمن حدود جمهورية تركمانستان إلا أنها تتمتع بشخصية فارسية من الطراز الأول.

ولعل للوزير الفارسي الفضل بن سهل ، أثر كبير في مكوث المأمون بمرو هذه المدة (خمس سنوات) ، واتخاذها عاصمة للدولة العباسية [١١٨] . وهذا ما جعل بغداد خلال تلك المدة مسرحاً للفن والإضطرابات ، حتي أن أبناء البيت العباسي حاولوا خلع البيعة من المأمون ومبايعة خليفة أخر يقيم في بغداد [١١٩] . كما أن بقاء المأمون في مرو أثار الغضب بين صفوف أهل العراق عامة وبغداد خاصة مما دفعهم لذلك السلوك .

ولا شك فإن الفضل بن سهل ظل مجوسياً لم يدخل الإسلام إلا قبل وقت قصير من وفاته ، ولذا كان يحبذ التقاليد والرسوم الفارسية ، ويحاول ترسيخها وثبها في بلاط الدولة العباسية ، حتي أنه كان يحمل علي كرسي مجنح حين يذهب لمقابلة الخليفة المأمون [١٢٠].

وكان للمأمون قصر عظيم واسع في مدينة مرو ، وكان من رسوم القصر ، أنه يفرض علي من يزوره فيه أن يلبس لباس يناسب مقام الخليفة [١٢١] . وهذا فيه تأثر واضح بالثقافة والرسوم الفارسية .

وقد أحاط المأمون نفسه بحاشية من أهل مرو ، وقرب الفرس وربما يعود ذلك إلي أن أم المأمون فارسيه [١٢٢].

ولقد تضررت بغداد بسبب خلوها من خليفة ، حيث تم حصارها ونصبت عليها المجانيق والعراوات ، عندما أصبح المأمون خليفة وعاصمته مرو [١٢٣] .

أدي مقام المأمون في خراسان إلي تقوية صلته بأهلها وإلى اعتماده علي أهل مرو التي فقدت بعد إنشاء بغداد كثير من العناصر العربية المؤيدة للدعوة العباسية بسبب هجرتهم إلى العاصمة في العراق واستقراهم فيها بعد انطلاق الدعوة من خراسان نفسها.

وقد فوض المأمون وزيره الفضل بن سهل سلطات واسعة في الشئون المدنية والعسكرية ، حتي أنه منحه لقب "ذو الرئاستين" إشارة إلى إشرافه علي كافة الشئون الإدارية والعسكرية (١٢٤) .

ولكن هذا الوزير الفارسى استغل منصب الوزارة لتحقيق أهوائه وآماله ، فعمل علي تثبيت سيطرته علي شئون الدولة ، وعمل أحياء النظم الفارسية القديمة ، حتى أنه كان يتميز له كرسياً مجنحاً إلى أن منصب الخلافة قد أثر عليه واضعفه اتخاذه لمرو عاصمة له ، كما أن الوزير الفارسى ذو النفوذ الواسعة زاد من ضعف الخلافة ، وهذا ما دعاه الي العودة إلى بغداد ، وقد استغرقت رحلة العودة نحو سنتين ، تمكن فيها من تصفية جميع العناصر التى سبب في نقمة أهل بغداد من المأمون ، فقد تخلص من وزيره الفارسي المسيطر علي الأمور، كما أنه وبشكل غير مباشر تخلص من ولي عهده العلوي علي الرضا والذى كان بعينيه كولى عهد في الدولة العباسية أحد الأمور الغريبة في منصب ولى العهد في العصر العباسى الأول(١٢٦) .

وصل المأمون الي العراق فأقام فى الرصافة أولاً ، ثم بنى قصراً له علي شاطئ دجلة الأيسر عند المخرم واتخذه داراً للخلافة ، وبقدومه بغداد انقطعت الفتن وهدأ العامة (١٢٧).

ونعتقد أن مرو من العواصم الثانوية التي ليس لها تاريخ واضح مع الخلفاء العباسين ، إذا إن مقام المأمون فيها لم يتجاوز الخمس سنوات ، وكان مقامه فيها مرفوض فى نظر بني العباس وأهل العراق، وأن كانت العاصمة مرو هي مركز تجمع عناصر الجند، خاصة قبائل التركمان من ما وراء نهر الأمودار بالتنظيم تحت لواء التنظيم العسكري الفارسي، كما يعتقد لابيدوس، فإن بعدها فى وسط أسيا جعلها تفقد بريقها سريعاً.

سامراء :

قدر لبغداد أن تتنازل عن مركزها العظيم كعاصمة للخلافة العباسية ، لمنافستها مدينة سامراء ، ولك لمدة تزيد علي نصف قرن من الزمن ، فقد تحولت سامراء في فترة وجيزة الي مقر فخم للخلافة والخلفاء [١٢٨] ، ولحسنها سميت سرور من رأي أوسر من رأي ثم اختصرت إلى سامراء [١٢٩] وتسمى أيضاً : العسكر لأنها بنيت من أجلها [١٣٠] .

وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون حول أصل هذه المدينة ، فمنهم من يذكر أنها مدينة قائمة منذ القدم ، ثم بني فيها الرشيد صر له وحفر نهراً سماه القاطول ، ثم بنى المعتصم أيضاً مقراً فوهبه لمولاه شناس ، ولما ضاقت بغداد بجند المعتصم بني مدينة سامراء [١٣١] .

والرآى الأخر يذكر : أن سامراء مدينة إسلامية مستحدثة في عهد المعتصم ، وهو الي ابتدأ في بنائها وأتم المتوكل البناء [١٣٢] .

ويمكن أن نفند الرأيين ونجمع بينهما ، ذلك أن الموضع الذي بنى فيه المعتصم سامراء ، كان قربه قرية قديمة [١٣٣] ، كما أن الرشيد قد زار هذا الموضع وبني فيه قصر ، وحفر نهر القاطول من دجلة واتخذ مكان للتنزه [١٣٤] ، ثم ترك هذه القصر ، وفي عهد المعتصم أعاد الحياة لهذا الموضع حيث نقل إليه مقر الخلافة .

ويعد بناء سامراء أعظم أنجاز في عهد المعتصم ، كما أنها عجلت – علي المدى البعيد – في أنماط الدولة العباسية ، وذلك بسبب تفضيل العنصر التركي علي العنصر العربي[١٣٥] .

وهذا أدي الي سيطرة العناصر الأجنبية علي الخليفة والخلافة العباسية طوال العصر العباسي الثاني .

ولقد اتفق معظم المؤرخون المسلمون علي أن سبب بناء المعتصم لمدينة سامراء هو سبب عسكري [١٣٦]، حيث أن أهل بغداد أسخطتهم قسوة الجند المتعدد

العناصر من الترك والبربر وسمرقند وأشدوسنة وفرغانه [١٣٧] . الذين كانوا يقيمـون في العاصمة بغداد ولا يفارقونها ، وكان عددهم حوالي سبع مائة ألف فـارس [١٣٨] . فضاقت بهم بغداد وضايقوا الناس في دورهم حتي هلك عدد مـن الأطفـال والنسـاء والشيوخ تحت أرجل الخيل من شدة الزحام في الأسواق ، ذلك أن أولئك الجند كـانوا جفاه يركبون الدواب فيركضون في طرق بغـداد وشـوارعها دون مبـالاة ، فربمـا يصدمون الرجل أو المرآة ويطئون الصبي ، فيعمد أهل بغداد إلى قتل بعضهم ، فشكي الأتراك ذلك المعتصم كما شكي أهـل بغـداد للمعتـصم جفـاء الأتـراك وخـشونة طباعهم [١٣٩] .

ولقد صرح المعتصم بخوفه علي جند من أهل بغداد حيث قـام :" يـا أحمـد (احمد بن أبي خالد) اشتر لي بناحية سامراء موضعاً أبني فيه مدينة ، فإني أتخوف أن يصبح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلماني ، حتي أكون فوقهم ، فإن رابنـى مـنهم ريب أتيتهم في البر والبحر ، حتي أتي عليهم [١٤٠].

لقد استهدف المعتصم في بناء سامراء أن يبتعد عن جند بغداد ، ليكـون فـي مأمن من جهة ، وليستطيع ضربهم وكسر شوكتهم إذا تمردوا من جهة أخرى [١٤١].

وقد عرفت سامراء بالمعسكر ، وهذا يؤكد أن الهدف الحقيقـي لبنـاء هـذه المدينة الجديدة هو جعلها مقراً للجند ، سواء المصاحبين للمعتصم ، أو لدعوة الأقـاليم المشرف لتجنيد المتطوعين وإسكانهم فيها [١٤٢]، ويؤكد أيضاً رأينا السابق بعدم فقـدان بغداد نفوذها الاقتصادي ونشاطها التجاري.

ولأن الأتراك أكثر العناصر التي أحاطت بالمعتصم لذا فإنه تأثر بهم ، وحتى أنه كان يتشبه بملوكهم ويمشي مشيهم [١٤٣].

بحث المعتصم عن موقع ليقيم فيه عسكره ولينقل دار الخلافة إليه "فلـم يـزل ينتقل ويتقرى المواضع والأماكن الي دجلة وغيرها حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالقاطول[١٤٤] وقد أقام فيه ثلاثة أيام للصيد ولمعرفة مدى مناسبة هواء هـذا المكـان ، وقد أعجب الخليفة المعتصم بهذا المكان ، لطَيب هوائه ، وحسن التربة والماء ، وقرر

أن يبني في الفضاء الواسع الذي بجانب نهر القاطول مدينة سامراء [١٤٥] . وهي بين بغداد جنوباً وتكريت شمالاً[١٤٦] ، وتبعد عن بغداد بثلاثين فرسخاً (١٥٠كلم [١٤٧]).

وبدأ المعتصم ببناء سامراء عام ٢٢١هـ /٨٣٨م ، وقد أمر قائده ايتاخ بالإشراف علي البناء ، واستدعي الصناع والبنائين من كل مكان ، من مصر والشام والجزيرة ، وحملت النخيل والفروس من سائر البلدان [١٤٨] .

وبالنسبة لتخطيط المدينة فقد تميز بمراعاة النواحي للعمرانية الحضارية[١٤٩]، والعسكرية والاجتماعية ، فجعل لجنوده الأتراك قطائع خاصة ، وجاورهم العناصر القادمة من خراسان علي حسب قربهم منهم في بلادهم ، وخطت الشوارع والدروب ، ثم خصص لكل صنعة سوق ، ولكل أهل تجارة أماكن خاصة ، وشيد الجامع [١٥٠].

وتعد سامراء من أجمل المدن التي شيدت في العراق حيث اشتملت علي القصور الكبيرة [١٥١]، والأسواق والمساجد ، وميدان للعب والسباق ، وحديقة للحيوان[١٥٢] .

" وتجامع الناس بها فقصدوها وسكنوها ، فكثرت بها المعايش إلى أن صارت من أعظم المدن [١٥٣] .

وقد توخى المعتصم بعد إقامته مع جيسته في سامراء ، عزل جنده عن الناس، ومنع الاحتكاك بهم ، كي لا يتكرر ما حدث في بغداد من المصادمات بين الجند الأهالي ، واهتم براحتهم فقد قسمهم إلى وحدات تسكن كل منها في ناحية خاصة ، مع مراعاة تقسيم عناصرهم الأصلية ، وجعل قائد لكل منطقة [١٥٤] .

ولأجل تأمين حياتهم هذا العزل ، أمر أن تبني فى كل موضع وبين الدور والمحلات ، المساجد والحمامات ، وسوق صغير فيه عدة حوانيت لتأمين الحاجات التى لا غني عنها [١٥٥].

ونمت المدينة وازدهرت في كافة الميادين العمرانية والاقتصادية والسياسية ،

فغدت حاضرة الخلافة العباسية ، وقد امتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاة نهر دجلة علي الضفة الشرقية ، وقام في الجانب الغربي كثير من القصور التى ألقت فيها الخلفاء الأموال الطائلة[١٥٦].

ولما فرغ المعتصم من الخطط والبناء ، عقد جسراً الي الجانب الغربى من دجلة [١٥٧] .

ولما توفى المعتصم عام ٢٢٧هـ / ٨٤٢م كانت سامراء قد عزت تنافس بغداد في فخامة قصورها وجمال مبانيها ، وقد أكمل بناؤه وخلفاؤه (الواثق والمتوكل) ما بدأ به ، فبنوا العديد من القصور الفخمة [١٥٨] .

ومن أشهر قصور سامراء التي اتخذت دار للخلافة قصر الجوسق الخاقاني[١٥٩] وقد بناه المعتصم وأقام فيه ، عندما بني مدينة سامراء [١٦٠] ، وهو ما أكبر وأعظم قصور سامراء، ويقع بالقرب من المسجد ، ونحيط به الأسواق الرئيسية ، واشتهر ببركته الرائعة التي توجدِ في حديقة القصر الممتدة علي شاطئ دجلة ، وهو يشرف علي نهر دجلة من الغرب ، ويتألف القصر من عدة وحدات بنائية كل منها عبارة عن مجموعة غرف وأيونات تطل علي فناء أوسط ، وأكبر قاعات القصر هي قاعة العرش المربعة الشكل وتفتح عليها أربع قاعات من جهاتها الأربع وتغطي القاعة قبة كبيرة [١٧٠] .

ومن قصور سامراء قصر الجص ، بناه المعتصم وهو قصر عظيم ، يقع شمال القصر الهاروني ، وكان هدف المعتصم من بناءه ، وهو اتخاذه مكاناً للنزهة[١٧١].

كذلك القصر الهاروني ، نسبة الي هارون الواثق بن المعتصم ، وقد بناه علي شط دجلة وكان من أحسن القصور ، وضيق دكتين شرقية وغربية [١٧٢] ، ويوجد في احد جوانبه قبة مرتفعة بيضاء كأنها بيضة ، وفي وسطها ساج منقوش مغشي باللازورد والذهب ، وتسمى هذه القبة قبة المنطقة [١٧٣] . وقد حضر الواثق من النهر إلى القصر ، لدخول السفن القادمة من بغداد،[١٧٤] وعندما انتهي بناؤه انتقل الواثق من

قصر المعتصم الهاروني واتخذه مقراً لدار الخلافة (١٧٥) .

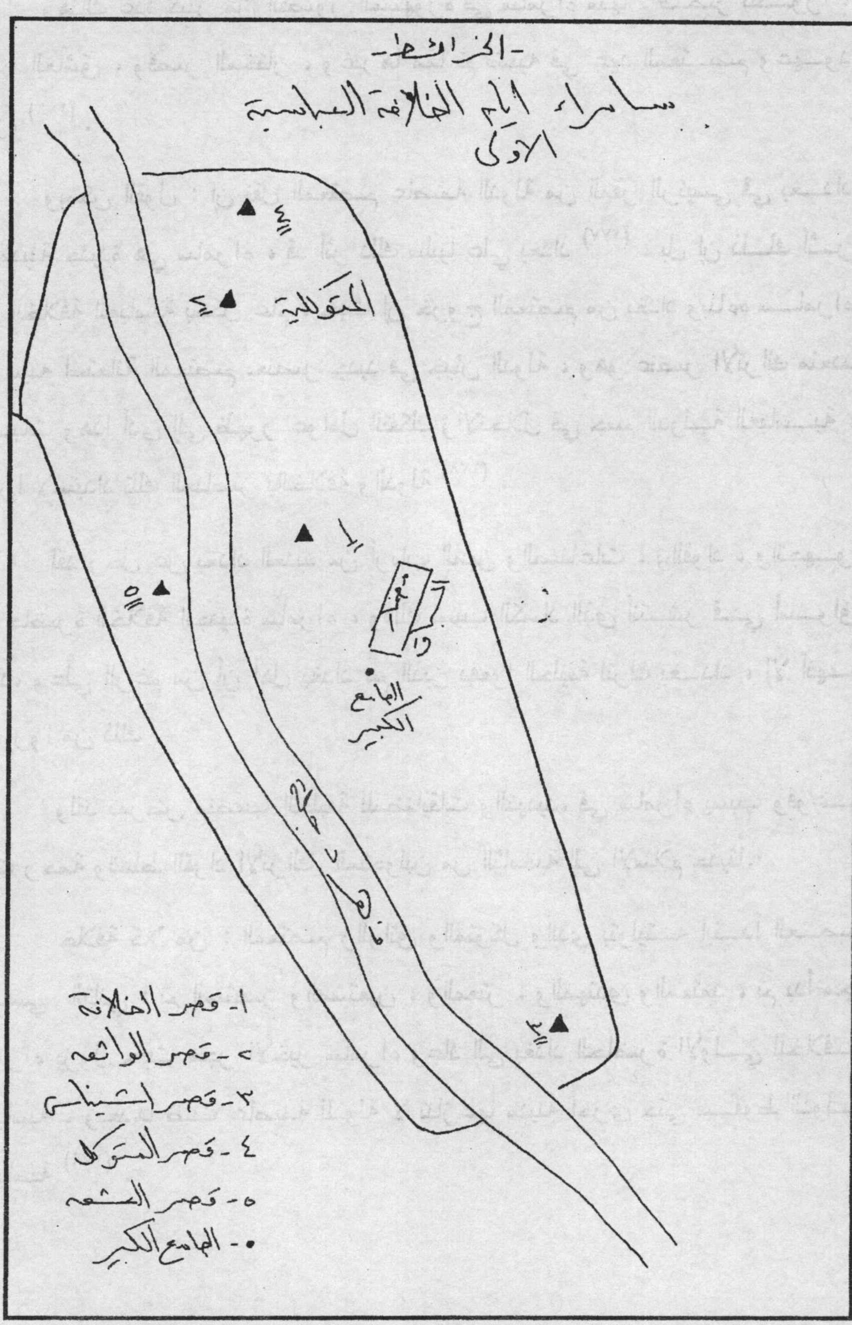
وهناك عدد كبير من القصور المشهورة في سامراء منها : قصر بلكوزا ، وقصر العاشق ، وقصر المختار ، وغيرها مما تم تشبيه في عهد المعتصم وعهود خلفاؤه (١٧٦) .

ويمكن القول : إن نقل المعتصم عاصمة الدولة من المقر الرئيسي في بغداد إلى مدينة جديدة هي سامراء ، قد أثر ذلك سلبياً علي بغداد (١٧٧) ، بل إن ذلك أثر علي الخلافة العباسية بشكل عام ، حيث إن خروج المعتصم من بغداد وبناءه سامراء كان سببه استعانة المعتصم بعنصر جديد في جيش الدولة ، وهو عنصر الأتراك متعدد الجنسيات وهذا أدي إلى ظهور عوامل التفكك والانحلال في جسم الدولة العباسية ، ونظراً لاستبداد تلك العناصر بالخلافة والدولة (١٧٨) .

لقد رحل عن بغداد العديد من أرباب المهن والصناعات ، والقواد ، واتجهوا الي حاضرة الخلافة الجديدة سامراء ، وذلك بسبب الكساد الذي أنتشر في أسواق بغداد، وعلي الرغم من أن أهل بغداد هم الذين دفعوا الخليفة لترك بغداد ، إلا أنهم تضرروا من ذلك .

ولقد تعرض منصب الخليفة للمضايقات والتهديد، في سامراء بسبب وقوعه تحت رحمة وتسلط القواد الأتراك، المتحولين من الثامانية إلى الإسلام حديثاً.

خلافة كلاً من : المعتصم والواثق والمتوكل والذي بتوليته ابتدأ العصر العباسي الثاني : ثم المنتصر والمستعين ، والمعتز ، والمهتدى والمعتمد ، ثم بدأ مجد سامراء يزول حيث هجر الأخير سامراء وعاد إلى بغداد الحاضرة الأولي للخلافة العباسية ، وبعدها ظلت عاصمة للدولة لا تنازعها مدينة أخرى حتى سقوط الدولة العباسية (١٧٩) .


-الخارطة-
سامراء أيام الخلافة العباسية الأولى
المتوكلية
الجامع الكبير
١- قصر الخلافة
٢- قصر الواثق
٣- قصر اشيناس
٤- قصر المتوكل
٥- قصر العشق
•- الجامع الكبير

الهوامش

(١) الثعالبي : آداب الملوك، بيروت ١٩٧١، ص١١٣ .

(٢) الثعالبي : المصدر السابق، ص١١٤- ١١٥

(٣) يعقوب ليسز : خطط بغداد، بغداد ١٩٧٥، ص٢٢٦ .

(٤) فاروق عمر : الخلافة العباسية، بغداد ١٩٧٤، ص١٠ ، ٣٤.

(٥) قصر أبن هبيرة ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق أمام الخليفة الأموي مروان بن محمد . بني علي فرات الكوفة مدينة فلم يتمها ، حيث أرسل له مروان بن محمد بأمره باجتباب الكوفة وسماه الهاشمية، لذا ينبغي أن نذكر أن القصر يختلف عن المدينة ، والمدينة أقدم من القصر وهما منسوبان لأبن هبيرة أنظر البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحي ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، ص٢٨٥ ، ياقوت معجم البلدان جـ٤ ، ص٣٦٥.

(٦) يعقوب ليسز : خطط بغداد ، ص٢٢٦.

(٧) ابن الجوزي : المنتظم، ج٧ ، ص٢٩٨ .

(8) NAGD,P, G. GSCHICHTE DER ABBASID POLITISCHEN, ZURICH, ARTEMIS, 1981, VOL.2, P.41.

(٩) فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١، ص٣٤.

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ، ص٢٩٨، الذهبي : ج١، ص١٣٩ ، محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، بيروت ٢٠٠٤، ص٣٨.

(١١) الحيرة مدينة قديمة تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال . وكانت مسكن ملوك العرب فهي الجاهلية ، وقد خلت من السكان بعد عمارة الكوفة . أنظر الأصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي الكرضي ت.٣٥هـ/ ٩٦١م) المالك والمالك ، تحقيق: محمد جابر ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص٥٨،ياقوت: معجم البلدان ج٢، ص٣٢٨ . ومما يكون قصر ابن هبيرة يقع في مدينة الحيرة ، لأن العديد من المصادر تذكر : أن أبي العباس عندما انتقل

الي الأنبار عام ١٣٤هـ /٧٥١م، أنه تحول من الحيرة إلى الأنبار ، ولم تذكر قصر ابن هبيرة – انظر : الدينوري : الأخبار الطوال ص٣٧٥ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢،ص٣٥٨، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٤٧٣، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٢٠.

(١٢) يذكر يعقوب ليسز : خطط بغداد، ص٢٢٥ : أن هذا الاسم لا يشير الي مكان واحد ، بل إلى أي مكان يختاره الخليفة ليكون مقامه .

(١٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص٢٨٥، ياقوت معجم البلدان، ج٤، ص٣٦٥ ، يعقوب ليسز: المرجع السابق ص٢٢٥، كي ليسترنج :بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط٢، ١٩٨٥م ، ص٩٧.

(١٤) الدينوري : الأخبار الطوال ، بيروت ١٩٧٠، ص٣٧٥.

(١٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ٢، ص٣٥٨، الأزدي : أخبار الدول المنقطعة، ص٨٤. (٢) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، القاهرة ١٩٨٤، ص٩٧.

(١٦) ابن الجوزي : المنتظم، ج٧، ص٢٩٨، الذهبي : دول الإسلام جـ١،ص٦٩، الذهبي : العبرجـ١ ، ص١٣٩، السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٢٧.

(١٧) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٣٧٥، اليعقوبي : المصدر السابق ، ج٢،ص٣٥٨، مجهول: العيون والحدائق، ج٣، ص٢١١.

(18) M. SHABAN, ISLAMIC HISTORY, COMBRIDGE, 1985, P.170., H. KENNEDY, THE COURT OF THE CALIPHS, LONCON, 2004, P.37.

(١٩) أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٤٤ ، صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٣٧٤.

(٢٠) عبد الله كامل موسي : العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٩، ٢١.

(٢١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨٥، أبن العماد : شذرات الذهب، ج١،ص٢٣١.

(٢٢) الطبري : تاريخ الطبري، ج٧، ص٦١٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٨٦.

(٢٣) أحمد شلبي : في قصور الخلفاء العباسين ، ص٥٧.

(٢٤) المقدسي (شمس الدين محمد بن أحمد ت ٣٧٨هـ /٩٨٨م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ط٢، ٧، ١٣هـ /١٩٠٩م ص ١١٩، ذكر رواية غريبة وفريدة عن بناء بغداد ، حيث يقول : أن أبن العباس السفاح أحدثها ثم بني المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده ، وهذه الرواية مخالفة لمعظم المصادر التي أثبتت أن بغداد هي مدينة أختار مكانها وبناها الخليفة المنصور ، ولم يكن لها أي وجود في عهد السفاح .

(25) H.KENNEDY, AL-MANSUR, E.I.2

(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠، ص٥١٥ ، ذكر أن السبب الباعث علي بناء بغداد هو ثورة الراوندية في هاشمية الكوفة . كذلك انظر علي أدهم : أبو جعفر المنصور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص١٣٢.

(٢٧) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص٣٨٣ ، الطبري: تاريخ الطبري ، ج٧، ص٦١٥ ، الطقطقي : تاريخ الدول الإسلامية ، ص١٦١.

(٢٨) جرجرايا هي أحدي قري النهروان الأسفل ، تقع بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي أنظر : ياقوت: معجم البلدان جـ٢، ص١٢٣ .

(٢٩) ينسب هذا النهر الي عيسي بن علي بن عبد الله بن عباس ، ويبدأ من الفرات وينتهي الي المحول ، ثم تتفرغ منه أنها تخترق بغداد . أنظر ياقوت : المصدر السابق جـ٥، ص٣٢٢.

(٣٠) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨ ، ص٦٩. لمزيد نم التفاصيل عن موقع بغداد أنظر ياقوت : معجم البلدان، ج١ ، ص٤٥٦ ، ٤٦٠.

(٣١) الطقطقي : تاريخ الدول الإسلامية، ص١٦٢ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص١٠٨، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص١٠٠-١٠١، أحمد شلبي : في قصور الخلفاء العباسين ، ص٥٧ ، ٥٨.

(٣٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥١٥.

(٣٣) إن ذكر الباحث لأقوال المنجمين ليس موافقة أو تصديقاً أو تأييداً لأقوالهم ، وإنما يسوق الخبر لوروده في المصادر بسبب كثرة الاستعانة بالمنجمين في ذلك العصر.

(٣٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص٨٨، الطقطقي : الفخري، ص١٤٥، ابن الكثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥١٧.

(٣٥) صالح أحمد العلي وآخرون : الطرق في التاريخ، ص٣٧٥.

(٣٦) عبد الرحيم إبراهيم أحمد : تاريخ الفن في العصور الإسلامية، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٩٨٩م ، ص٥٣.

(٣٧) عبد الرحيم إبراهيم : المرجع السابق ، ص٦٦ ، عبد الله كامل: العباسيون وآثارهم المعمارية ، ص١٢٩.

(٣٨) وذكر أن المدينة صممت بواسطة مهندس فارسي كلفة الخليفة المنصور . انظر عبد الرحيم إبراهيم : تاريخ الفن في العصور الإسلامية ، ص٦٦.

(٣٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ١، ص٨٨.

(٤٠) محمد سهيل طقوش : تاريخ الدولة العباسية، ص٧١.

(٤١) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق، ص٧٢، عبد الرحيم إبراهيم : تاريخ الفن في العصور الإسلامية، ص٦٦- ٦٧

(٤٢) الطبري : تاريخ الطبري، ج٧ ،ص٦١٨، ابن الأثير : الكامل، ج٥ ، ص٥٥٩، ابن خلدون : تاريخ أبن خلدون، ج٣، ص٢٤٠.

(٤٣) الطبري : تاريخ الطبري، ج٧، ص٦١٨، ابن الأثير : الكامل، ج٥، ص٥٥٩، عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية، ص١٢٨.

(٤٤) ابن الأثير : المصدر السابق، ج٥، ص٥٦٠، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٤١.

(٤٥) للتوسع حول أسوار المدينة وتحصيناتها انظر : أوتار فار لا موضج تسكتيشفيلي (حول تاريخ مدينة بغداد) ترجمة د. حسين قاسم ، مجلة التاريخ الاقتصادي

والاجتماعي للشرق، ج١٣، المجلة التاريخية، عدد ٢، ١٩٧٢م ، ص١٠١وما بعدها ، عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية، ص١٣٠- ١٣١.

(٤٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٤١، عبد الرحيم إبراهيم : تاريخ الفن في العصور الإسلامية، ص٦٦.

(٤٧) حسني محمود نويصر: الأوتار الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص١٣٦.

(٤٨) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٣٧٣، المسعودي : مروج الذهب ، ج٣، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٤٩) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص٧٧، أوتار فار لا موضج : " حول مدينة بغداد" المجلة التاريخية عدد م، ص١٠٤

(٥٠) كان المنصور إذا أحب أن ينظر إلي من يقبل من باب خراسان جلس في القبة التي تلي باب خراسان ، وإذا أحب أن ينظر إلي الأرباض وما والاها جلس في قبة باب الشام ، وإذا أحب النظر إلي الكرخ جلس في قبة باب البصرة ، وإذا أحب النظر إلي البساتين جلس في القبة التي علي باب الكوفة . أنظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص ٣٧٣، ابن الجوزي : المنتظم ، ج١،ص ٧٦-٧٧.

(٥١) صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٣٧٨ ، وتذكر دائرة المعارف الإسلامية ج٧، ص٣٧٤، أن مساحة بغداد خمسة أميال مربعة أو ستة، والميل ١٦٠٩متر.

(٥٢) ابن العمراني : الأبناء ، ص١٠٢، الذهبي : العبر ، ج١،ص ١٥٦.

(٥٣) للوقوف علي أسباب هذا التوسع شرقاً أنظر : دائرة المعارف الإسلامية جـ٧،ص٣٧٤، أوتار فار لا موفج " حول تاريخ مدينة بغداد " المجلة التاريخية، عدد٢، ص١١٧.

(٥٤) صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ ، ص٣٧٨، ولمزيد من التفاصيل حول تطور مدينة بغداد فيما بعد العصر العباسي الأول أنظر دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص٣٧٥- ٣٧٦.

(٥٥) ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص١٦٣، يعقوب ليسز : خطط بغداد، ص١٤٠،
R. HUMPHREYS, ISLAMIC HISTROY PRINEETON, 1992, P.154.

(٥٦) ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص٢٤، ٤٥ ، ابن كثير :البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣،ص٢٩٥ .

(٥٧) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٤١، سليمة عبد الرسول : الأصول الفنية لزخارف القصر العباسي ببغداد ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠م،ص١.

(٥٨) ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص٢٤، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥١٦، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص ٢٩٦.

(٥٩) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص ٩٣، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢١٥، سعيد عبد الفتاح عاشور : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٥٠٨.

(٦٠) كانت هذه القبة تاج وعلم بارز في مدينة المنصور المدورة ، وسقط رأس القبة عام ٣٢٩هـ/ ٩٤١م ، وكان يوم فيه مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد ، انظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص٩٣.

(٦١) الخطيب البغدادي : المصدر السابق، ج١، ص٩٣، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠،ص٥١٦.

(٦٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٩٢.

(٦٣) أوتارف ولا موضح " حول تاريخ مدينة بغداد " المجلة التاريخية ، عدد ١٠٩،
W, BAGDAD, UNIVERSITY OF OKLAHOMA , PRESS, NORMAN P.15

(٦٤) أوتار فار موضح : المرجع السابق، ص١١٠- ١١١.

(٦٥) عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول، ج١، ص٢١٥، علي حسن الخربوطلي: المهدي العباسي، ص٨٦.

(٦٦) ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص٢١٩

(67) H. KENNEDY, THE COURT, P.270.

(٦٨) سمي المنصور قصره الجديد بالخلد تفاؤلاً بالتخليد في الدنيا ، أو تشبيهاً له بجنة الخلد. أنظر ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص٢٠١ ، ابن كيثر : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٣٥.

(٦٩) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) شذور العقود في تاريخ العهود ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم (٩٩٤) تاريخ، ف ٣١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٢، ص٣٠، ابن العماد : شذرات الذهب، ج١، ص٢٤٠.

(٧٠) ابن العمراني : الأنباء، ص ٦٧ ، ابن كيثر : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٣٥.

(٧١) المنتظم ، ج٨، ص ٢٠١، وقد ذكر أن القصر أندرس فلا عين له ولا أثر. إلا أن خلفاء المنصور قد أقاموا فيه . ويبدوا أنه أندرس في عهد ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.

(٧٢) أحمد شلبي : في قصور الخلفاء العباسين ، ص٦٨.

(73) H. KENNEDY, THE COURT, P.284.

(٧٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٤٢.

(٧٥) علي حسن الخربوطلي : المهدي العباسي، ص٨٦.

(٧٦) زهير الكسبي : موسوعة خلفاء المسلمين، ص٣٠، يعقوب ليسز : خطط بغداد، ص١٨٢.

(٧٧) الأزدي : أخبار الدول المنقطعة، ص١٢٠، محمد كنعان : تاريخ الدولة العباسية، ج١، ص١١٥.

(٧٨) ابن الأثير : الكامل، ج ٦، ص١٩٢.

(٧٩) يعقوب ليسز : خطط بغداد، ص ٢٤٣.

(٨٠) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠.

(٨١) كي ليسترنج : المرجع السابق، ص٥١ ،

H. KESHANI, THE ABBASID PALACE OF THEOPHILUS IN AL-MASAQ VOL.16, 2004, P.75-78.

(٨٢) ذكر القلقشندى : مآثر الأناقة ، ص١٧٩، أن المنصور بن الرصافة في الجانب العربي من بغداد . وهذا الرأي شاذ عن باقي المصادر ، إلا أنه يمكن أن يكون القلقشندى قصد أن بغداد تقع غرب الرصافة ، وبهذا يكون رأية صحيح في ذكر موقع الرصافة .

(٨٣) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، ج١، ص١٨٩، خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش، ص١٠٠.

(٨٤) لقد رصد ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص٤٦-٤٩ ، ثمان مدن صغيرة كلها تسمي الرصافة منها: رصافة البصرة ، رصافة الشام ، رصافة قرطبة، رصافة واسط .

(٨٥) البلاذري : فتوح البلدان، ص٢٩٣، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص١٠٢، الذهبي : دول الإسلام، ج١، ص ٧٩.

(٨٦) علي حسن الخربوطلي : المهدي العباسي، ص٨١.

(87) H. KENNEDY, ART. MAHDI. E.I.2.

(٨٨) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٤٣.

(٨٩) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص١٤٧-١٤٨، ابن الطقطقي : تاريخ الدول الإسلامية، ص١٧٤.

(٩٠) محمد سهيل طقوش : تاريخ الدولة العباسية، ص٧٢.

(٩١) علي حسن الخربوطلي : المهدي العباسي، ص ٨٣.

(٩٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص ١٠١، ابن كيثر : البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٢٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٢، ص١٦.

(٩٣) الخطيب البغدادي : المصدر السابق، ج١، ص١٠١.

(٩٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨، ص١٤٨.

(٩٥) علي حسن الخربوطلي : المهدي العباسي، ص ٨٣، صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٣٨٢.

(٩٦) احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٥٩.

(٩٧) ابن الطقطقي : الفخري، ص ١٥٦، صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٣٨٢.

(٩٨) عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية، ص١٣٤.

(٩٩) البلاذري : فتوح البلدان، ص٢٩٤، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج١، ص١١٣، يعقوب ليسز : خطط بغداد ، ص٢٦٥.

(١٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠، ص١٢٧، عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية ، ص١٣٥.

(101) HYMPHREY, ISLAMIC HISTROY, P.97

(١٠٢) الطبري : تاريخ الطبري، ج٨ ،ص٤٦، ابن الجوزي : المنتظم، ج٨ ، ص١٨٣، مجهول العيون والحدائق، ج٣ ،ص٢٦٥، ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٥، ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٥.

(١٠٣) ياقوت : المصدر السابق، ج٣، ص١٥، كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص١٣٢.

(١٠٤) أنور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمه، ص٣٠٥، كي ليسترنج : المرجع السابق، ص١٣٢.

(١٠٥) ياقوت : معجم البلدان، ج٣،ص٦٠.

(١٠٦) حسني محمد نويصر : الآثار الإسلامية، ص١٥٤.

(١٠٧) الذهبي : العبر، ج١، ص٢١٢، الذهبي : سير إعلان النبلاء، ج٩،ص٢٩٢، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٢، ص٩٩، ابن العماد : شذرات الذهب، ج١، ص٢٩٣.

(١٠٨) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص١٣٣.

(١٠٩) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٢،ص٩٩.

(110) F. OMAR, ART, RASHID, E.I.2.

(١١٦) مرو : كلمة عربية تعني الحجارة البيض التي يفتتح بها ، الشاهجان : كلمة فارسية السلطان ، لا (جان) هي النفس أو الروح ، (الشاه)هو السلطان وذكر أن مرو بنيت في عهد ذي القرنين ، وإنه قد صلي فيها عزير . أنظر:

الأصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٧، المقدسي : أحسن التقاسيم، ص٢٩٩، ياقوت معجم البلدان، ج٥، ص١١٣.

(١١٧) ابن حوقل (أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي ، عاش في القرن ٤هـ/١٠م) صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت، ص٣٦٤، ياقوت : المصدر السابق، ج٥، ص١١٢.

(١١٨) فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١،ص٢٢٧.

(١١٩) للوقوف علي تفاصيل الأحداث أنظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج٨، ص٥٢٨ وما بعدها ، ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص٧٤-٧٥ ، ابن كيثر: البداية والنهاية، ج١٠، ص٦٨٦.

(١٢٠) فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١، ص٢٢٨،

I. LAPIDUS, A HISTORY OF ISLAMIC SOCIETIES, CAMBRIDGE 1995, P.105.

(١٢١) البيهقي : المحاسن والمساوئ، ص٤٥٣، ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص٢.

(١٢٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٤٤، ابن كيثر: البداية والنهاية، ج١٠،ص٧١٧.

(١٢٣) ابن كيثر : البداية والنهاية، ج١٠، ص٦٧٦.

(١٢٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٥١.

(١٢٥) صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٤١٠.

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٣٥٧.

(١٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق، ج٦، ص٣٥٧، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٦٨٩، يعقوب ليسز : خطط بغداد، ص١٨٢، فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١٠، ص٢٢٨ .

(١٢٨) للوقوف علي الفترات الزمنية التي مرت بها سامراء في عهود خلفاء المعتصم أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص٣٧٥-٣٧٦.

(١٢٩) المقدسي : حسن التقاسيم، ص١٣٢، ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٧٤.

(١٣٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٣٠٥.

(١٣١) ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٧٤، حيث ذكر أن الذي بناها : سام بن نوح عليه السلام ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١٧.

(١٣٢) الأصطخري : المسالك والممالك، ص٦٠، ابن حوقل : صورة الأرض، ص٢١٨.

(١٣٣) ذكر المستشرق كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٦، أن التقيبات الأثرية في أطلال سامراء كان أهلاً منذ أدوار ما قبل التاريخ حيث اكتشفت مقبرة من تلك الأدوار . انظر : ساند نبرغ ما تتيشن : خلافة المعتصم، ص٣.

(١٣٤) ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٥٢، ياقوت : المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٧.

(١٣٥) I. LAPIDUS, A HISTROY, P.١٧٨.

(١٣٦) الدينوري : الأخبار الطوال، ص٤١٠.

(١٣٧) ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٥٢، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٣١٦.

(١٣٨) وبما في هذا العدو شي من المبالغة ابن الغمري : الأنباء، ص ١٠٩، وذكر ابن دحية: النبراس، ص٦٥، ولأزدي : أخبار الدول، ص١٧٤، أن عددهم سبعون ألف.

(١٣٩) الطبري : تاريخ الطبري، ج٩، ص١٨، المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص٥٣، ابن الجوزي : المنتظم، ج١١، ص٦٥، ابن دحية : المصدر السابق، ص٦٥، الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص١٧٣، ابن الأثير : الكامل، ج٦، ص٤٥٢.

(١٤٠) انظر النص كاملاً : ابن الجوزي : المنتظم، ج١١، ص٥٤.

(١٤١) ابن الطقطقي : تاريخ الدول الإسلامية، ص٢٣١، فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١، ص٢٦٣.

(142) SHABAN, ISLAMIC HISTORY, P.341.

(١٤٣) ذكر السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٩٢، أن المعتصم هو أول خليفة أدخل الأتراك الديوان . لكن الأتراك وجدوا في قصر المنصور قبله .

(١٤٤) المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ٥٣.

(١٤٥) مجهول : العيون والحدائق، ج٣، ص٢٨١، الذهبي : العبر، ج١، ص٢٩٨، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٣٤.

(١٤٦) ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.

(١٤٧) محمد بك الخضري : الدولة العباسية، ص٢٣٧، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص١٠٢.

(١٤٨) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٧٣، المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص٥٤.

(١٤٩) للوقوف علي تفاصيل تطور الزخارف المعمارية في سامراء أنظر : عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية، ص١٤٧– ١٤٨.

(١٥٠) المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص٥٥، فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١، ص٢٦٣، أنور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمه، ص ٣٥٢.

(١٥١) ذكر ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥ : أكثر من خمسة عشر قصراً ، وأغلبها شيدت في عهد المتوكل (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م– ٢٤٧هـ/ ٨٦١م).

(١٥٢) عبد الرحيم إبراهيم : تاريخ الفن، ص٦٩، أنور الرفاعي : المرجع السابق، ص٣٥٢، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج١، ص٣٩٨.

(١٥٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٣٤.

(١٥٤) المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص٥٥، خالد جاسم الجناتي : تنظيمات الجيش ص١٠٠.

(١٥٥) خالد جاسم : المرجع السابق، ص١٠١، فاروق عمر : الخلافة العباسية، ج١،ص٢٦٣.

(١٥٦) يعد المتوكل أكثر من انفق علي بناء القصور في سامراء حيث حسبها ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥ ، بأنها بلغت مائتا ألف وأربعة وتسعون ألف درهم (٢٩٤مليون درهم)

(١٥٧) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٨.

(١٥٨) المقدسي : أحسن التقاسيم، ص١٢٢، كي ليسترنج : المرجع السابق، ص٧٨.

(١٥٩) الجوسق : كلمة فارسية تعني القصر ، والخاقان : كلمة فارسية معناها الملك، وبذلك تعني عبارة الجوسق الخاقاني : قصر الملك . انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط، ص١١٢٥، السيداوي شير : معجم الألفاظ الفارسية، ص٤٨.

(١٦٠) ابن العمراني : الأبناء، ص ١٠٥، ابن دحية : النبراس، ص٧٢، وقد دفن المعتصم في هذا القصر .

(١٧٠) لمزيد من التفاصيل حول شكل قصر الجوسق وما يحويه من زخارف . أنظر:عبد الله كامل : العباسيون وآثارهم المعمارية، ص١٥٠- ١٥١، سعيد عاشور وآخرون : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٥١٥- ٥١٦.

(١٧١) ياقوت : معجم البلدان، ج٤ ، ص٢٥٦، كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٩.

(١٧٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٨٣.

(١٧٣) الطبري : تاريخ الطبري، ج٩، ص١٢٥.

(١٧٤) كي ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٧٨.

(١٧٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص٤٨٣، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠،ص٧٥٧.

(١٧٦) ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥، سعيد عاشور وآخرون : دراسات في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص٥٠٩.

(١٧٧) يري بعض المؤرخون المعاصرين :أن بغداد لم تتأثر بانتقال مقر الخلافة منها الي سامراء . والباحث لا يوافق علي هذا الرأي. لأن بغداد قد خسرت

مكانتها السياسية لمدة من الزمن فأنظار العالم الإسلامي موجهة إلي الخليفة أينما أقم وحل . أنظر : صالح أحمد العلي وآخرون : العراق في التاريخ، ص٣٨٢.

(١٧٨) أحمد الحفناوي : الحضارة في ظل الخلافة العباسية، ص٣٣.

(١٧٩) أحمد الحفناوي : الحضارة الإسلامية، ص٣٣، دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص٣٧٦،

I. LAPIDUS, A HISTROY OF ISLAMIC SOCIETIES, PP.321-322